الفصل الأول

الحكمة من خلق الكون

اقتضت حكمة الله تعالى أن خلق هذا الكون؛ أرضه وسماواته وما فيهما وما بينهما؛ وفيه يتجلّى بديع صنعه إتقاناً وتكاملاً وإحكاماً، وقوة وزينة وتكاملَ نظامٍ، وترفاً يُظهر عزة الخالق المبدع ويدل على عظمته وجليل قدرته، فهو مالك الملك الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١] فالكون ملك الله خلقه ليكون آية دالة على قدرة المالك فكان متقناً أيما إتقان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك:٣] وكان لهذا الكون من البهاء ما جعله متعة

وزينة للناظرين ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ... ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥] أما الأرض فقد جعل فيها أماكن من جنات وأنهار وجبال وشلالات وشواطئ تسر العين وتخلب اللب وتأخذ بمجامع القلوب، وتهنأ بها النفوس وقد انشدّت إليها بإكبار وإعجاب؛ وهي تقول سبحان الخالق العظيم ﴿.. صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧] وخلق من الحيوان أصنافاً تدعو إلى النظر والتأمل والإعجاب بما فيها من تناسق الألوان وبريقها، ودقة الصنعة وترفها، وآية الجمال وإعجازها، فلا يسع الإنسان عندما يراها إلا الاعتراف بقدرة من خلقها وأبدعها على هذا المثال العجيب ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا

دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [النحل: ٥ - ٦] ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨] ثم خلق في هذا الكون البديع الإنسان كأحسن ما يكون خلقاً وتكويناً وشكلاً وجمالاً وسيداً عاقلاً مزوداً بالفكر والعقل والقوة والذكاء خلافاً لبقية مخلوقاته في الأرض ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن: ٣] وقد كان هذا الإنسان تالياً لكثير مما خلق الله، حيث هيأ له الأرض المناسبة لعيشه؛ من حيث الهواء والحرارة والبرودة والنبات والحيوان والفواكه والثمار والخضار، ولو قدر لمخلوق أن يرصد ما حصل من تحولات على الأرض قبل خلق الإنسان لاستنتج أن هذه الأشياء تُعدُّ

لاستقبال مخلوق مهم أهم من كل من سبقوه؛ فيه ميزات كثيرة إذا ما قورن بغيره من المخلوقات، وتتجلى فيه صنعة ربه القدير بما أودعه فيه من صفات أهلته للسيادة فوق الأرض؛ مزوداً بكل إمكانات السمو وتسخير موجودات الأرض ظاهرها وباطنها لخدمته، والارتقاء بحياته إلى حد السيطرة على معظم ما فيها وقهرها خلا بعض الأمور التي جعلها الله سره الخاص، فلا يستطيع الإنسان حيالها أن يقوم بأي شيء بل ويظهر عجزه عن الإحاطة بها مهما بلغ شأنه من القوة والتقدم والسيطرة، فقد حار فكره في سعة الكون وظواهره ونجومه وكواكبه ومجراته حتى عجز عن إدراك منتهاه ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٤] وفي الأرض حار في كثير من ظواهرها وأبدى عجزه عن السيطرة عليها

وهو يرى آثار الرياح العاتية وشدّتها، والعواصف وقهرها له وتدميرها لكثير مما يبنيه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢] بل كان العجز أشد في الوقوف أمام الزلازل والبراكين، وكل الذي استطاعه حيالها أنه رصد تحركاتها ليحذرها أو ليسلم من أذاها، وأما جسم الإنسان وما يعتريه من أمراض فقد وقف عاجزاً أمام كثير منها، وهو في صراع دائم معها، فما يكاد يكتشف علاج مرض عات وينتشي بالسيطرة عليه إلا ويداهمه مرض أشد وأنكى، ولكنه مع ذلك يبذل الجهد ولا يستسلم للهزيمة، وهذا الطبع في الإنسان جبلة طبعه الله عليه ليكون

مؤهلاً لاستمرار الحياة، وإلا لحاق به ما حاق بغيره من المخلوقات التي انقرضت، فحكمة الله اقتضت تفوق الإنسان في صراعاته التي يخوضها مهما كانت أليمة الوطأة عليه، ولكنه في النهاية هو المنتصر لأن الله خلقه ليكون آخر من يشهد نهاية الدنيا، فالإنسان طبقاً لهذا هو خيرُ مستخلَفٍ في الأرض، لذلك آتاه من الصفات ما لم يؤت أحداً غيره من المخلوقات، وكان لبدء ظهوره في الدنيا ميزة وحفاوة به لم يحظ بها أيُّ مخلوق آخر سواه، فالمخلوقات الأخرى خلقت صمتاً بعيداً عن الأضواء والتشهير الإعلامي - إن جاز لنا هذا التعبير - أما الإنسان فقد لازمه تنبيه الآخرين إلى وجوده بطرائق شتى من الدعاية والحملات الإعلامية والتبشير به من قبل أن تنفخ فيه الروح، وهو صلصال كالفخار، وكان محل استغراب من الآخرين، مَنْ هذا؟ ومَن سيكون هذا المخلوق الذي شكله الله

بيديه؟ فقد باهى الله بهذا المخلوق بقية خلقه من الملائكة والجن ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥] وجعله على هيأته التي أراد أن يخلقه عليها يوم أن شكله صلصالاً كالفخار، وقد وضع وهو على هذه الحالة على باب الجنة أربعين عاماً لتشهده مخلوقات الله من الملائكة والجن وليتساءلوا عن كنه هذا المخلوق وما سيكون عليه ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان:١] وفي عالم الإعلام اليوم يروج للسلعة قبل ظهورها، فكم رأينا من صفحات في الصحف طليت بلون معين دون أية إشارة للسلعة المروج لها، وبعد عدة أعداد من هذا الشكل الملفت للنظر يُظهر أصحاب المنتَج جزءاً من منتجهم بشكل غير مكتمل تشويقاً للمتابعين لكي يتساءلوا عن كنهه فيحثهم فضولهم

على المتابعة والترقب لاستجلاء الأمر، وهكذا إلى أن تكتمل صورة المنتج وتظهر معه ميزاته، فيكون بهذا أرسخ في الذهن اسماً وشكلاً وما يحمله من مميزات.

لقد شهد الإنسان الأول آدم الاهتمام اللائق بمخلوق عاقل ظهرت فيه جلياً قدرةُ رب العالمين وحُسْنُ صنعته الباهرة ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ [السجدة: ٧ – ٩] لقد كانت حكمة الله في هذا الإنسان الارتقاء به حالة بعد حالة من حالة الطين إلى التناسل والتكاثر بواسطة الماء المهين ثم حالة النفخ فيه من روح الله وتزويده بحواس مهمة جداً تساعده في العيش باقتدار وعلوّ منزلة على كافة خلقه فوق

هذه الأرض، وربما كان لهذا التكوين ما نراه من فروق كبيرة بين الناس، فمنهم من لم يرتق عن الطين قيد أنملة، ومنهم من حام في مستوى الماء المهين، ومنهم من حلّق عالياً بفكره وروحه واعتقاده فكان صنوَ الملائكة الأطهار، فعرف من نظرته لنفسه وما حمل من دلالات على قدرة الخالق - ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١] أن الله تبارك وتعالى قد أهله للحياة التي أعده لها تأهيلاً كاملاً ليس فقط في طريقة مأكله ومشربه وملبسه وتكوينه منذ النطفة وحتى الولادة، وإنما الأهم من ذلك للعقل الذي زوده الله به، وللفكر الذي مكنه من وضوح الرؤية لما سينتهجه في هذه الحياة؛ لأنه أعطي حرية الاختيار لمنهج حياته والتمييز بين الخير والشر ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان ٣] ولهذا حرص التوجيه

الرباني للإنسان على ضرورة الحفاظ على عقله، وعدم تدميره بما يُذهِبُه من المسكرات والمخدرات، فإذا ما ذهب العقل منه عاد أحط من الحيوان منزلة وعاث في الأرض الفساد، فالأهمية التي أعطاها الله للإنسان وفضله بها على سائر المخلوقات كان لهذا العقل الذي وهبه الله له، فبه سيميّز ويدرك ما لا يدركه غيره من المخلوقات ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] لذلك ولهذه الأهمية كان الاحتفاء به أمام الملأ كبيراً وعظيماً ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] فكان إخبار الملائكة

بخلق الإنسان من باب شهود هذا القادم الجديد وهذه الصنعة الربانية البديعة، لذلك كان قتل هذا الإنسان وهدم هذا الكيان الرباني جريمة كبرى لا يدرك خطورتها كثير من الناس (**لهدم الكعبة أهون عند الله من قتل المسلم**) قيل بهذا اللفظ حديث ضعيف - وزيادة في تكريم الله لهذا الإنسان أمر الملائكة بالسجود له، فلبوا طائعين إلا إبليس فإنه أبى واستكبر استهانة بهذا المخلوق الذي كرمه الله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] وكانت حجة إبليس في عدم السجود واهية؛ لأنها نابعة من الحسد لهذا الإنسان المكرم من الله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] وهكذا زكّى نفسه وأعطاها الخيرية وهذا حقد وضيق أفق، وفي

تعليل آخر ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾ [الحجر: ٣٢ - ٣٣] وفي هذا الادعاء المغلف بالكبر يظهر عنده الحسد جلياً لما شاهد من الاحتفاء بآدم وتكريمه فاجتمع عنده الشران، ويظهر هذا أكثر في سورة الأعراف ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٢ - ١٣] ومنذ هذه الحادثة بدأت العداوة بين الإنسان وإبليس، فلقد طرد الله إبليس من رحمته وسخط عليه وتوعده بالعذاب الأليم، لكن إبليس الحاقد لم يتراجع عن موقفه بالاعتذار من الله والتوبة مما فعل من العصيان لأمر الله بل أصر على المعصية طالباً من ربه أن يخلّي بينه

وبين الإنسان في الحياة الدنيا لكي يغويه ويورده موارد المهالك كفراً بالله وجحوداً وارتكاباً للمعاصي والموبقات، وقد منح الله - كما بينت الآيات - إبليس ما طلب اختباراً وامتحاناً لهذا الإنسان للصمود أمام إبليس؛ وإضعافاً لشأنه واستصغاراً له ولما معه من فتنة وشهوات تغري الضعفاء والمجردين من أسلحة المقاومة والحماية التي أمرهم الله تعالى أن يستخدموها ضد إبليس ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤ - ١٧] وفي سورة الحجر يعترف بأن تأثيره في الإغواء يكون في ضعاف الإيمان ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٤٠]

فكان جواب ربه بأن الطريق إلي واضحة لمن سلكها من المؤمنين ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٢] فالله تعالى لم يترك الإنسان لإبليس يلعب بمصيره كما يشاء بل سلحه بالسلاح الذي يقهر به إبليس ويكون بمنجاة من إغوائه، فنبه الإنسان في آيات كثيرة من القرآن على خطر هذا العدو وطلب الحذر منه وإذا تكرر التحذير والتنبيه في القرآن لهذا الأمر فمعناه تنبيه الإنسان وتوجيه جل اهتمامه إلى هذا الخطر لاتقائه والحذر منه ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا

يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] وفي سورة طه ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧] وبين الله للمؤمنين حبائل الشيطان وإرادته الفتنة لهم في تزيينه ما حرم الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] المائدة ثم انظر إلى هذا التحذير من خطر الشيطان وما يكنه من حقد دفين على الإنسان ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ

ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٨ - ١٢٠]

الشيطان المريد هو إبليس، والنصيب المفروض، أي: حصته من المضلِّين الذين ينساقون وراء شهواتهم فيقعون في حبائله، لَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام، أي: يقطعونها ويتخذون من ذلك وسماً مميزاً بأن هذه بحيرة وهذه سائبة محللين ومحرمين ذبحها وفق أهوائهم.

وهكذا بدأ الصراع والتحدي بين الخير والشر، فالإنسان العاقل الذي ميزه الله بالعقل وزوده بتعاليمه عن طريق الأنبياء قادر على الوقوف في وجه هذا الشيطان والانتصار عليه، والفوز برضا الله، لأن حليف الشيطان يقف في صف عدو الله وهو بهذا يكون عدواً لله، وبرغم هذه التحذيرات من

مكائد الشيطان؛ فإن كثيراً من الناس لا يأخذون هذه التحذيرات مأخذ الجد ويظنون أن الشيطان عدو وهمي، ولو رجعوا قليلاً إلى عقولهم وأعادوا شريط ما مضى من حياتهم لرأوا وسوسة الشيطان لنفوسهم غير خفية، فكل خلل في حياتهم وكل خروج عن جادة الصواب هو إغواء من الشيطان، ففي الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم عن جابر قال، قال رسول الله (ﷺ) «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم – أي أقربهم - منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، أو قال: فيلتزمه** – أي يضمه تقديراً لجهده في الفتنة» وأخرجه أحمد أيضاً.

السر في خلق الإنسان

إن في خلق الله للإنسان لسر عجيب من حيث تكوينُ هذا الإنسان، ففيه جلاء صنعة الله بما حوى من قلب حافظ وعقل مدرك واع، وأن الله جلت قدرته قد أجرى له استقبالاً حافلاً حين بث فيه الروح، وأعطاه حرية الاختيار، وشكل الدنيا على ما هي عليه لأجله، يسخرها بما استطاع من غلبة لها واستغلال لخيراتها التي وضعت من أجل نفعه ورفاهيته، بعد هذا أليس في الأمر سر؟! لو فكرنا قليلاً لعرفنا ذلك السر، وإني أرى أن هذا السر يكمن في محبة الله تعالى لهذا المخلوق، فالله تعالى قد أحبه فميزه عن غيره لأجل هذه المحبة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): «إن الله قال: **مَنْ عادى لي ولياً فقد**

آذنته بالحرب وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريلَ إني قد أحببت فلاناً فأحِبَّهُ، قال فينادى في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ١٩٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ... ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤] - ومن دلائل هذا الحب أن منحه العديد من لذات الدنيا التي تنعش الروح والجسم ويأتي على رأسها اللذة في العبادة

التي تتفوق على كل لذة سواها، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: ﴿**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ؛ وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**﴾ ويقول أحد العابدين "**من ذاق عرف**" وقال أبو حنيفة: "**لو يعلم الملوك ما نحن عليه من لذة العلم لجالدونا عليه بالسيوف**"، ولذة العلم الشرعي هو صنو لذة العبادة، وثم تأتي لذة الطعام والشراب والمتعة الجنسية، ويعقب هذه اللذات الدنيوية نعيم الآخرة فهي لذة ما بعدها لذة إكراماً لهذا الإنسان وتعويضاً له عما نقصه في الدنيا، حيث أعد الله له جنات ملئت بأصناف الملاذ بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بما حوته هذه الجنات وما خبأته للمؤمنين من اللذات والطيبات، وهذه المنحة وهذا التنعيم من أجل محبة الله لهذا

الإنسان الملتزم بتعاليمه، لذلك كان لهذا الإنسان صونه وكرامته، فحرم الله تعالى الاعتداء عليه ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٣] وشدد النكير على القاتل وتوعده بأشد العذاب ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]، وقد ورد " أن قتل النفس بغير حق أعظم عند الله من زوال الدنيا، وفي لفظ ابن ماجه عن البراء "**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتلِ مؤمن بغير حق**" ربما يقول قائل أنت تتكلم عن الإنسان بشكل عام وهنا خصصته بالمؤمن أو المسلم، أقول: إن من خرج من دائرة التوحيد أسقط بخروجه حرمة نفسه وخسر الميزات والأعطيات التي خص الله بها الإنسان، وأضاع قيمتها الغالية وأسخط عليه ربه، ويروى "أن عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾

ضرب امرأة بالدرة كانت تنوح على الميت فسقط خمارها، فقالوا لقد كشفتها يا أمير المؤمنين، فقال: لا حرمة لها"، وذلك لفعلها المنكر ومخالفتها النهي عن النياحة، فعند أحمد والترمذي "**لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة**" ويبقى الأمر قائماً على ما ورد لأن الأصل في الإنسان الإيمان ولا اعتبار للشاذ من الإنسان الذي نزل بكفره إلى منزلة أحط من الحيوان، وقد بين الله الطريق الموصل إلى محبته ونيل منحته ورضاه بوضوح لا لبس فيه، فقال:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فالإنسان مخلوق للعبادة هذا قبل كل شيء، وما يتلوه من عمل للكسب والرزق والمعيشه هي أسباب للحياة من أجل العبادة واستمرارها حسب ما كتبه الله من عمر

لهذا الإنسان، وأما أن يفكر جاهل بأن الله قد ألزم الإنسان بعبادته من أجل نفع لله أو لمزيد ملك له فهذا خطأ كبير، فالله هو الخالق وهو المعطي وهو المتفضل على الإنسان وطاعته لا تزيد في ملك الله شيئاً، كما أن معصيته لا تنقص من ملكه شيئاً، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: **﴿يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو**

أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» فوجود الإنسان على هذه الأرض إنما هو امتحان واختبار له لشكر المنعم على ما أنعم عليه وحمده وتسبيحه، فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: «ليس أحد أحبَ إليه المدحُ من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش» والشكر يكون من خلال الطاعة والالتزام بمنهج الله في الأرض لأن الطاعة والعبادة الخالصة لله تشكل لدى الإنسان المطيع سلوكاً ناضجاً ومثالية رفيعة؛ فهو ملاك يسير فوق

الأرض ديناً وتقوىً، وحباً ومعاملة وصلاحاً، وحُسْنَ معاشرة وطيب لقاء، ومودة وأنساً ومسالمة وحسن خلق، يألف ويؤلف فلا يعتدي على أحد ولا يظلمه ولا يأكل ماله ولا يهتك عرضه، صادق طاهر القلب وصافي السريرة غير لعان ولا صخاب ولا فحاش، هذه سمات مَنْ أحبَّ اللَّهَ وأحبَّهُ اللهُ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فلماذا الحب؟ لأن الله تعالى أودع فيه الروح وهي من روح الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ – ٩] ، ولما سئل النبي (ﷺ) عن الروح

كان الجواب من الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] فقد استأثر الله بسرها ولم يطلع عليها أحد من خلقه، وهنا يكمن سر محبة الله للإنسان، فهل يعني هذا أن الروح في الإنسان تختلف عن غيره من ذوات الأرواح؟ ربما لأن روح الإنسان معصومة إلا بحقها، وروح الحيوان مباحة أحل الله لنا إزهاقها لأكل لحومها، كما أنها في الآخرة لا تخلد مع الإنسان بل تنقلب تراباً وتزول، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«يحشر الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عذاب الله أن يؤخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر»** ﴿ ...يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠] متمنياً مصير الحيوان كيلا يخلد في النار، فالقرآن لم يذكر خاصية الروح إلا للإنسان،

وخص بكلمة الروح جبريل لعلو مكانته ورفعته وخطير مهامه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤]

ومن دلائل محبة الله للمؤمن:

الرضا عن عباده: الذين آمنوا وعملوا الصالحات ينالهم رضا الله، وإذا رضي الله عن عبد أحله في النعيم المقيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ – ٨] وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون لبيك وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك،

فيقول أن أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً﴾ فهل هناك محبة بعد هذا أجلّ وأعلى؟

- **قبول توبته**: إذا أخطأ، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩] وذلك لرحمته بالإنسان ومحبته له ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود: ٩٠] قال تعالى في آية أعم وأشمل في العفو والغفران ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] لقد فتح الله تعالى لعباده باب التوبة على مصراعيه وقبولها وغفران الذنب مهما عظم، لكن يستثنى

من هذا أكل أموال الناس لأنها حقوق العباد، ولا تُغفر إلا بالمسامحة من رب المال، فقد أخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿**القتل في سبيل الله يكفر كل خطيئة، فقال جبريل: إلا الدين، فقال النبي ﴿ﷺ﴾: إلا الدين**﴾ وذلك لشدة حرمة أموال المسلمين ودمائهم كيلا تنتهك أو يستهان بحرمتها، ثم انظر إلى طمأنة رب العالمين للتائبين وسرعة الاستجابة لتوبة التائب منهم ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾** ﴾ [النساء:١١٠]، وضُرب مثل لقبول التوبة مهما عظم الذنب في خبر قاتل المائة، فقد أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري ﴿ﷺ﴾ أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال له: إنه قتل تسعاً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به**

مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً على الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما أدنى فهو له، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» وأخرج ابن ماجه بسنده جيد أن النبي «ﷺ» قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم» والله تعالى يفرح بتوبة العبد لأن فيها إنقاذاً له من النار:

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ..﴿١٤٧﴾ ﴾

[النساء: ١٤٧] وأخرج مسلم "لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح"

- **الاستجابة لدعائهم:** إذا دعوه وتضرعوا إلية فيكشف عنهم ما بهم من شدة، لقد رغب الله تعالى عباده بالدعاء والالتجاء إليه في السراء والضراء فلا ملجأ لهم إلا إليه، ولا رب لهم سواه، ولا يحسبن أحد أن الله يمل من كثرة دعاء عبده له وطلب قضاء الحوائج منه والاستعانة به، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ»**

فالدعاء الخالص لله تعالى دليل إيمان العبد وقوة تمسكه به واعتماده عليه وهذا ما يريده منا ربنا سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٧] أي لولا إيمانكم، والدعاء هو العبادة، كما في حديث أخرجه الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي (ﷺ) في قوله جل اسمه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] **أن الدعاء هو العبادة**، وورد عن أنس في حديث غريب عن النبي (ﷺ) «**أن الدعاء مخ العبادة**» أخرجه الترمذي، والدعاء ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى بلا واسطة ولا وسيلة- إلا ما ورد من التقرب بالعمل الصالح كما في قصة الثلاثة الذين حبستهم صخرة في الغار – والعابد الحق هو الذي يدعو ربه في الرخاء وفي الشدة بقلب متعلق به، وهناك من لا يعرف الله إلا عند الشدة فإذا حقق المراد انقلب

وأشرك معه غيره فهذا هو الخاسر ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] أرأيت إلى هذا الجحود في شدة الهياج وبلوغ الخوف منتهاه أخلصوا لله فدعوه دعاء مضطر، وشكوا حالهم إلى عزيز رحيم فكشف عنهم ما بهم من الخوف ونجاهم من العاصفة وهياج البحر؛ فلما بلغوا بر الأمان أشركوا معه غيره ونسوا ما حاق بهم قبل قليل من الخوف والكرب، وقد نبه الله عباده إلى أنه ما من قوة يمكن أن تنقذهم مما هم فيه إلا قوة الله ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٧] فالإنسان ليس له إلا الله فإذا أشرك معه غيره ضل وحبط عمله وهوى من حالق غير مأسوف عليه:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ..﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ...﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] فأين تذهبون أيها الجاهلون؟ أعمِلوا عقلكم، وفكروا تفكيراً سوياً لتصلوا إلى ربكم الذي أحبكم ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ... ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٧] لذلك مدح الله من يدعوه على هدى وبصيرة ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجن: ١٨ – ٢٠] وإذا علمنا أن ندعوه وحده فلا خوف من الكرب إن شاء الله لأن لنا قوة تحمينا، وسنداً يقف معنا خصوصاً في حالة تخلي الناس عن نصرة الحق، وإذا ما وقف المسلم مع الحق وحيداً ليس له من مؤازر فإنه سيجد

قوة الله معه،ألم يعاتب الله لوطاً عندما هاجمه قومه وكان وحيداً، فقال ﴿...لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠] فقد كان يأوي إلى ركن شديد وهو الله؛ وهل هنالك أقوى من هذا الركن؟ لكنه لهول الموقف وإشفاقه على ضيوفه من اعتداء قومه عليهم نسي، لقد طمأن الله المظلوم أنه معه، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) بعث معاذاً إلى اليمن فقال: **(اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)** وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: **(ثلاثة لا ترد دعوتهم؛ الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)** لقد طمأننا رسول الله (ﷺ) بأن دعاءنا ربَّنَا لن يذهب أدراج الرياح، فهو في سجل لا يضيع، فقد أخرج

أحمد في مسنده عن أبي سعيد أن النبي (ﷺ) قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث؛ إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة؛ وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذاً نكثر، قال: الله أكثر» والله تعالى يجيب دعوة المضطر الذي ضاقت في وجهه السبل ولم يعد له ملجأ إلا الله؛ خصوصاً إذا كان مهدداً في حياته أو ماله أو عرضه أو دينه أو ملاحقة جبار ظالم له، فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢] فالله قريب سميع مجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الحديث الذي

أخرجه أحمد في مسنده عن أبي موسى أنهم كانوا مع رسول الله (ﷺ) في سفر فرفعوا أصواتهم بالدعاء فقال لهم رسول الله (ﷺ): «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون قريباً مجيباً يسمع دعاءكم ويستجيب، قال يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله»

• بالاستغفار والتوبة تبدل الحسنات بالسيئات ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] وأخرج البخاري عن ابن مسعود: "أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي (ﷺ)

فأخبره فأنزل الله عز وجل ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: "يا رسول الله أليَّ هذا؟ قال: **لجميع أمتي كلهم**" ويتجلى كرم الله تعالى وجوده على عباده بالحسنات في هذا الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال: "**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يفعلها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو فعلها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**"

- **إمهال عباده** وعدم أخذهم بالشدة إذا انحرفوا وأخطؤوا، وإعطاؤهم فرصة وسعة من الوقت للتوبة والأوبة إليه، لقد أخذ الله على نفسه عهداً ألا

يأخذ العاصي عند عصيانه، وأن يمد له في الوقت رجاء التوبة، فكم طلب الكفار من أنبيائهم أن يعجل الله لهم العقوبة فكان الإمهال، ولولا أن بعض هؤلاء الأقوام قد تحدوا أنبيائهم في تعجيل العقوبة لما عجلها الله وذلك لاشتداد إيذائهم لأنبيائهم وللقلة المؤمنة معهم، فما عاد ينفع معهم التأجيل، وتأتي العقوبة الدنيوية بعد الإمهال في حالات ازدياد المنكرات وطغيان الهوى والخروج عن الأعراف والأخلاق خروجاً يدوس القيم ويستأصلها ليسود المنكر فوقها، وهنا تأتي العقوبة للردع والتنبيه والتذكير للعودة إلى جادة الحق، وتكون العقوبة على شكل زلزال محدود أو خسف ضمن دائرة الشر، أو مرض أو وباء،أو حروب أهلية، أو تسلُّطِ عدو خارجي يؤلمهم ببغيه إلى حين ، ولقد ورد من الآيات ما يشير إلى هذا ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ

لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس:١١]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [العنكبوت:٥٣]. فهذه هي مشيئة الله في الدنيا تأجيل العقوبة إلى أجل مسمى وهو يوم الحساب وعدم أخذ الإنسان المذنب إلا بعد إمهال، فليس بمجرد نطقه بالكفر تأتيه المنية أو يأتيه ما يصعقه، فقد سبقت كلمة ربك بالإمهال وتأجيل العقوبة إلى يوم الحساب، أما الذين يتحدون الأنبياء بأن وعيدهم كاذب ويصرون على تعجيل العقوبة ليظهروا أمام شعوبهم بأنهم على حق وأن الأنبياء على الباطل؛ فقد عجلها الله لهم درءاً للفتنة، ألم يقل أتباع موسى عليه السلام ﴿... رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يونس: ٨٥] بمعنى أن يقول الكفار لو كانوا على الحق مؤيدين من الله لما سلطنا الله عليهم، لذلك لما طلب قوم نوح من نوح أن ينفذ فيهم وعيده أخذهم الله بالطوفان ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [هود: ٣٢ – ٣٣] ولما عقر قوم صالح الناقة استكباراً وتحدياً وجحوداً، طلبوا من صالح باستهزاء أن ينفذ فيهم وعيده إن كان بإمكانه أن يفعل ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٦ – ٧٨] فهذا جزاء من تحدوا

نبيهم وقتلوا الناقة المعجزة التي نهوا عن قتلها ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤] وهؤلاء قوم شعيب فقد أبوا الإيمان وتغيير سلوكهم وتصحيح مسار تجارتهم من الغش ونقص المكيال والميزان وتحدوا شعيباً بأن ينزل بهم العذاب ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٧ – ١٨٩]

- **إرسال الرسل إليهم لهدايتهم وتبصيرهم بالحق وإزالة** العمى عن أعينهم وقلوبهم ليفقهوا ﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥] لقد اقتضت حكمة الله عز وجل الرأفةَ بالإنسان بأن يبصره

ويوقظ فيه وازع الخير ويرشده إلى عبادة الله وفق منهج قويم سليم وما ذلك إلا لمحبة هذا الإنسان وإنقاذه من العذاب، فأرسل الرسل وهم أكمل الناس صبراً وهدياً ورأفة ومحبة ببني جنسهم من البشر، فأتوهم وكلموهم باللين والرفق،وبينوا لهم طريق الخير وحذروهم من سلوك طريق الشر، وبينوا نهاية كل طريق، وصبروا على مسيئهم ولم يبادلوهم الإساءة بمثلها بل غفروا لهم ما فعلوه بهم؛ كل ذلك من أجل إنقاذهم من العذاب في الآخرة، ولولا محبة الله لهم لما أرسل الرسل ولتركهم على عَمَايتهم وضلالهم ولكنها رحمة الله بالعباد ﴿..لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ...﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وذلك بإرسال الرسل المؤيَّدين بالمعجزات الظاهرة الباهرة ليكون الإنسان على

يقين في الاتباع ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ... ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩] فدعوته واضحة بينة ليس فيها تقديسٌ لشخص ولا عملٌ منافٍ للفطرة ،بل هي توحيد الخالق ،وترك الأصنام والأنداد التي لا يقدسها إلا جاهل فاقد للفكر والعقل السوي، ومع ذلك فقد أيدهم الله بالمعجزات الباهرة الخارقة التي تظهر صدق ما يدعون إليه،لذلك اجتمع مع الرسول نبل المقصد في العبادة للوصول بالإنسان إلى الخيرية، وسمو الروح والنفس، والصلاح والبعد عن الشرور والأذى والموبقات، مؤيداً بالمعجزات الباهرة التي لا يُشك في إعجازها وأنها من عند الله، وأن هذا التأييد من قوي عزيز، أما الدجال المشعوذ فقد يسحر الأعين بما يظنه الإنسان معجزة، ولكن ليس معه نبل المقصد والتوحيد الذي يتماشى مع فطرة الإنسان في وجود

الخالق، بل يدعو إلى الضلال والغواية والموبقات واتباع سبل الشر وانحطاط الفكر؛ مبيحاً كل قبيح، فهو ذو تاريخ أسود لذلك فإن الدجال الدعي سيء المظهر والمخبر، وقد صور لنا النبي ﷺ المسيح الدجال بأنه قميء الوجه، وأن عينه كحبة عنب طافية، كيلا نغترَّ بما يظهر على يديه من خوارق ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ... ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] ﴿ ... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد: ٣٨] ولكي يكتمل فهم الإنسان عن النبي المرسل إليه؛ أرسله الله بلسان قومه ليفقهوا ما يقول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤] وقد وصف الله جل ثناؤه النبي محمد ﷺ أجمل وصف من حيث الشفقة والرحمة وإرادة الخير لهم ﴿ لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]

- **استمالتهم إليه بالمعجزات** الباهرة ترغيباً وترهيباً ؛وذلك في كلا الحالين لمصلحتهم حتى يتبين لهم يقيناً أنه الحق؛ فيسلكوا طريقه مطمئنين، ألا ترى إلى عصا موسى التي ابتلعت حيات السحرة فَوَضُحَتْ المعجزة من السحر بشكل جلي لا لبس فيه، فما كان من السحرة لدى مشاهدتها إلا الخضوعُ والإيمان برب موسى، لأنهم ميزوا السحر من المعجزة، وهكذا فإن المعجزة دوماً خارقة لن يستطيع أحد الإتيان بمثلها مهما ابتكروا من الحيل والسحر، ألا ترى إلى انشقاق القمر ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١] فلما شك كفار قريش بأنه سحر أعينهم سألوا من

كان في سفر بعيداً عن مكة أشاهدوا انشقاق القمر؟ فكان الجواب نعم، فهذه هي المعجزة التي لا يستطيعها البشر، وكذلك المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه – **سفينة نوح، ناقة صالح، النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، عصا موسى وانفلاق البحر**- ومعجزة عيسى الباهرة في خلقه ونطقه في المهد وبما أيده رب العالمين من المعجزات أثناء دعوته ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: ١١٠]، إذاً فلمَ هذه المعجزات؟ إنها لأجل هذا الإنسان ليتثبت من صدق الدعوة فيؤمن بدعوة النبي الذي يدعوه، وبهذا تكون نجاته من النار.

- **إنزال العذاب** بفئة منهم من الضالين وترك آثارهم لمن بعدهم للعظة والاعتبار والابتعاد عن السير في درب الضلال، لقد ضرب الله مثلاً لقوم شعيب بما حل بجيرانهم من قوم لوط، قال الله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ [هود: ٨٩] فآثارهم باقية عبرة لكل معتبر وخصوصاً بالنسبة لجيرانهم، وكذلك خوطب أهل مكة بمثل هذا لأنهم كانوا يمرون بتجارتهم

بالقرب من مساكن قوم صالح وأطلالهم، فيشاهدون آثار ما حاق بهم من التدمير في الذهاب وعند الإياب ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٧] وبهذا يقدم الله لهم الشاهد للعبرة واستنقاذاً لهم من النار، كما نجّى جثمان فرعون من الضياع في البحر عبرة لمن بعده ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٢] وفي غزوة تبوك مر النبي ﷺ بالحجر – مدائن صالح – فلما استقى الناس من بئر القرية أمرهم النبي ﷺ أن يريقوه، ومن عجن به عجيناً أمرهم ألا يأكلوه وأن تعلف به الإبل؛ ليعرفهم أن هذه المنطقة لا تزال دار عذاب ودار قوم غضب الله عليهم فأخذهم بالعذاب تأديباً لهم وعقاباً على جرائمهم وتكذيب نبيهم، وأن كل أرض عذب قومها فيها هي سخط

وغضب، حتى إن أحد الصحابة وجد خاتماً من ذهب من آثار القوم فأعطاه النبيَّ ﴿ﷺ﴾ فما كان من النبي إلا أن رماه سريعاً كي لا يمس من أمتعة القوم المعذَّبين شيئاً، وعلى هذا فإنها تبدو أشد تلوثاً مما تتركه القنبلة الذرية من إشعاع وغبار ضار يبقى أثره آلاف السنين.

- **الإنذار والتخويف** بالعذاب الأخروي وضرب الأمثلة بما في الدنيا لتقريب ذلك لأذهانهم ، فالقرآن الكريم اتبع مع الناس أسلوب الترهيب، فمنهم مَنْ لا يرى الحق إلا بعد التخويف بأشياء حسية قاهرة، وإن من أخوف ما يخاف منه الإنسان هو النار، لأنه معايش لها ويعرف أن فيها النقيضين؛ فيها فائدته وفيها أذيته ودماره، فما أصعب آلامها إن مسته، فحرها أليم وسعيرها شديد، وبها خوف الله الإنسان وبين له بأن نار جهنم أضعاف قوة نار الدنيا، فهي لا تطاق ولا يقف لها شيء لأن وقودها

الناس والحجارة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

وفي الحديث الذي أخرجه الدارمي عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال **﴿إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم﴾**

- **أخذهم بالشدة في بعض الأحيان** تنبيهاً لهم؛ كالقحط وشدة السنين، والزلازل والفتن والحروب، فالإنسان قد كتب عليه النسيان، وهو إن كان في نعيم فإنه يسهو وينسى ما ينتظره في الآخرة - إلا ما ندر من الناس - وهذا النعيم قد ينسيه حكمة وجوده فوق الأرض ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] فيكون حائلاً بينه وبين شكر المنعم وأداء العبادة له وقد يجره البطر إلى غمط الحق والبعد عن جادة الصواب،

وهذا ملاحظ في الأمم، وقاعدة ليس لها استثناء إلا نادراً، لذلك كان التذكير بالعودة إلى جادة الحق – إن طالت الفترة - بالأنبياء، ولما انقطعت النبوات بعد النبي الخاتم محمد(ﷺ)؛ كان التذكير بالقرآن كتاب الله المعجز الباقي بيننا المحفوظ بحفظ الله له من التبديل والتحريف، ويخوفهم بين حين وآخر بالشدائد التي تصدم الإنسان بقوة لكي يفيق من غفلته ويعود بذاكرته إلى الله ويسلك جادة الصواب؛ فيقلع عما كان يمارسه من مخالفات، فيجدد إسلامه ويبدأ صفحة نقية من جديد تائباً عابداً، والله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، وقد حصلت للعالم الإسلامي هزات كثيرة على مدى القرون أعطت فرصة ومجالاً للدعاة لكي ينشطوا في الدعوة ويبينوا للناس أخطاءهم التي استحقوا عليها هذا العقاب، منها: الغزو الصليبي – الغزو المغولي –

ضياع الأندلس وما أعقبه من الاستعمار الحديث لمعظم البلدان العربية والإسلامية - ثم تكون العودة والأوبة، لأن تعالى كتب لهذه الأمة البقاء برسالتها إلى آخر الدهر. أخرج الترمذي عن ثوبان قال ك قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله زوى- قرّب - لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً﴾ حديث حسن صحيح وزاد عليه أبو داود ﴿وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع

عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»

بهذا سيكون الصراع مع الأعداء مستديماً بين ظهور وإخفاق؛ ظهور في حالة العودة إلى الله والالتزام بما أمر، وإخفاق في حالة البعد عن تعاليم شرعه الحكيم، لقد صارعنا العدو الإسرائيلي فترة من الزمن وكان شعارنا جاهلي وحالة مجتمعنا في انحدار ديني لا ترضي فكان قهرنا والغلبة له علينا، ولما عاد الناس إلى دينهم قيراطاً ظهرت نتاج ذلك في عبور خط بارليف على قناة السويس وقد امتلأ الجند إيماناً وهم يكبرون ويهللون وقد كان من قبل هذا من المحظورات في جيوشنا، فكان فتحاً وتأييداً من الله لهؤلاء الجند

لمسه كل من كان يقاتل في هذه المعركة. وأخرج أبو داود عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم﴾** والعِينة: أن يشتري رجلٌ سلعة بثمن إلى أجل ثم يبيعها للبائع نفسه نقداً بأقل مما اشتراها منه تهرباً بزعمه من الربا وقد وقع فيه.

- **الترغيب بالعيش الكريم في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة**، كما اتبع القرآن الكريم أسلوب الترغيب،والإنسان أيضاً يحب تغير الحال دائماً إلى الأحسن فإذا رغّبته بما سينال فإنه ينقاد لما يقال له،فالترغيب عند البدء يكون بالمحسوس، ثم ينتقل إلى المغيب فإذا ما آمن بصدق الدعوة فإنه سيؤمن أيضاً بما تخبر عنه هذه الدعوة من الأمور الغيبية، والقرآن وعد بالأمرين، بحياة رغيدة معاشة، وحياة أخروية غيبية فيها كل السعادة التي لا تزول، قال

الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧] كان الإنعام عليهم وفيراً، وقد أغدق الله عليهم من الرزق بما لذ وطاب، لما كانوا عليه من الإيمان والعبادة لله، فلما بدلوا حلت بهم النقم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦] لقد حفل القرآن الكريم بخطاب الترغيب من أجل استنقاذ الإنسان من العذاب وعودته إلى جادة الصواب، فخاطب قوم نوح بما يرغبهم ﴿فَقُلْتُ

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وكذلك قوم شعيب وقوم هود وقوم صالح، وقد اقتضت حكمته جل وعلا أن يكون في الآخرة داران، دار نعيم أبدي لعباد الله المؤمنين الذين التزموا بمنهج الله في الحياة الدنيا اقتداء بالأنبياء ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] والتزموا بما يترتب على هذه العبادة من صلاح وإعمار للأرض، ودار بؤس وشقاء وعذاب أبدي للذين خالفوا منهج الله في الحياة الدنيا، وركبوا أهواءهم واقتدوا بشياطينهم؛ فعاثوا في الأرض تدميراً وإفساداً، فكانت الجنة للمؤمنين الموحدين، وكانت النار للكفار والمشركين المكذبين، فما صفات الجنة؟ وما صفات النار؟

الجنة دار الخلود للمؤمنين

ذكر القرآن الكريم الجنة كثيراً وبأساليب متعددة ومتنوعة تحمل التشويق والترغيب المحبب للنفس لإحداث الألفة والعشق من الإنسان لها، وليكون من محبيها ومن العاملين لنيلها، كما ذكر القرآن كافة الطرق الموصلة إليها، ومن يمكنه أن يصبح من أهلها ونزلائها، فيعيش فيها هانئاً مكرماً منعماً أبد الآبدين.

الجنة جنان وجنات

ذكر القرآن الكريم الجنة بلفظ المفرد في نحو من ست وستين مرة، وبلفظ الجمع في نحو من ستين مرة، وبلفظ المثنى في ثلاثة مواضع كلها في سورة الرحمن، وأضيفت للجنات كلمة عَدْن، حيث ذكرت في ثمانية مواضع، منها ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ

﴿ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۚ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا
يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل: ٣٠ - ٣١]

فما ميزة جنات عدن؟ قال الشوكاني في تفسيره: جنة عدن هي أعلى الجنة وقيل أوسطها، وقيل: قصور من ذهب لا يدخلها إلا نبي أو صدّيق،أو شهيد، ودار عَدْن هي دار إقامة غير منقطعة،ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن سمرة بن جندب أن النبي (ﷺ) قال لنا: **(أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا إلى مدينة مبنية بلَبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك، قالا: أما القوم الذين كانوا: شطرٌ منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا**

عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم» كما ذكرت جنات الفردوس مرة واحدة في سورة الكهف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨] والفردوس الشجر الكثير الملتف ويغلب على شجر العنب، وورد في الفردوس أحاديث تعطي هذه الكلمة بعداً أوسع، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**» وأخرج أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «**إن في الجنة مائة درجة كل درجة منها ما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها ومن فوقها يكون العرش ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس**» والسؤال: لمن أعد الله هذه الجنات؟ والجواب ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]

صفة الجنة

حبب للنفس الخضرة والماء والشكل الحسن، وكل هذا مجتمع في الجنة ألم يذكر الله تعالى أشجارها وأنهارها والحور العين فيها؟ لهذا فالنفس تهفو لها وتهواها وإذا ذكرت بأوصافها فما يقر للقلب قرار من شوقه وشدة خفقه تمنياً واشتهاء لها، وتغمر الإنسان قشعريرة الإيمان شوقاً وطمعاً بما عند الله لعباده المتقين، وينسى الإنسان نفسه أنه أرضي لأن تطلعه عند ذكرها علوي سماوي يذوب توقاً لها ويسرح في خياله لتصورها وهي مع ذلك فوق كل تصور، ففي قصور الدنيا التي شيدها فنانون في العمارة والتزيين يعجب الإنسان أشد العجب إذا دخل

تلك القصور وتجول فيها، وتتملكه الدهشة من عجيب ما يشاهد من دقة الصنع وعلو الفن، فما بالك بمزين هذا الكون ومبدعه!؟ وإن ما خبأه للمؤمنين في جناته هو أروع وأبهى، لقد قال الشاعر عندما رأى مناظر الجبال وأشجارها وهي قطعة من جمال هذا الكون:

حسبنا فيما نرى من مشهد ** أن في الجنات ما يعدو الخيالا

الجنة في القرآن

تنوع أسلوب القرآن في ذكر الجنة من أجل الترغيب فيها وتقديم العمل الصالح لنيلها، وكان أول نزلائها آدم عليه السلام ولفترة محدودة ومع ذلك فمن خلال متابعة الآيات التي ذكرت وصف الجنة أثناء إقامة آدم فيها نتعرف على بعض مشاهدها ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥] وتدل الآية

على العيشة الهنية الرخية من خلال كلمة "رغد" كما تدل عبارة "ولا تقربا هذه الشجرة " على وجود أشجار كثيرة استثني منها هذه الشجرة لوجود أمر ما فيها، وفي آية أخرى ضمن الله الرزق لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩] فطمأنه بأن فيها الطعام والشراب واللباس فأمن من غائلة الجوع والعطش والكدح لتحصيلهما ومن خزي التعري، وبالقصور التي لا تعرضه لضحوة النهار أو التعرض للفحها، ولكن لم تطل مدة مكث آدم في الجنة فسرعان ما أخطأ فخرج منها هو وزوجه بوسوسة إبليس له وإغوائه بالعصيان ﴿.. وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١ – ١٢٢] ولم تطل أيضاً فرحة إبليس بما جوزي به آدم بسببه، فقد تاب الله عليه وأحسن إليه واجتباه

بالنبوة، ولعل آدم قد قص على أبنائه وأحفاده الذين عاشوا معه ما كان عليه من الحياة الوادعة الجميلة في الجنة، وما كان فيها من النعيم، فهو خير من يصفها من البشر لأنه دخلها، فلا نصب فيها ولا تعب يأتيه كل شيء يتمناه بلمح البصر، ثم تحول إلى الأرض ليكدح فيها ويتعب في تحصيل رزقه، وربما كان يتكلم بحسرة ملؤها الندم فيما فرط وعلى تعجله وقلة حذره في الوقوع بمصيدة الشيطان، ولكن توبته محت خطأه فعاش على الأرض يقظاً وحذراً من مكائد الشيطان،ثم لما تطاول العهد بعد آدم؛ فأرسل الله الأنبياء هداة للناس يبشرون مَنْ آمن بالجنة مع ذكر بعض أوصافها التي تجعل النفس الإنسانية في شوق وتوق إليها ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟

هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] ولكن من العجيب أن قساة القلوب ما كانوا ليتأثروا بما يلقى عليهم من صفات الجنة ويصرون على الكفر ومجابهة الأنبياء، فما أقسى تلك القلوب التي لا يروق لها الجمال ولا تَرِقُّ له، فهي كما وصف الله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴿٧٤﴾ [البقرة: ٧٤] ما أجمل ذلك النداء الصادق المشفق على أولئك الذين ضلوا الطريق فناداهم للأوبة إلى الله والدخول في رحمته ليستنقذوا أنفسهم من عذاب محقق أليم في يوم الحساب الذي لا مفر منه ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿٩﴾ ﴾ [التغابن: ٧ - ٩] ويتوالى النداء للمؤمنين وغيرهم للدخول في طاعة الله وأن هذا سيقلب حياتهم المظلمة الكئيبة إلى حياة ترفل بالنور والنعيم، ويكون مآلهم جنات الخلود، ويتوالى وصف الجنة ترغيباً بها ليطلبها أهل الهمة العالية ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ
فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ

﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمد: ١٥] ومن أجل تثبيت المؤمنين وحثهم على العمل الصالح لنيل الجنة خاطبهم بلغة الربح والتجارة لكي يعملوا ويجدوا في طلبها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [الصف: ١٠ - ١٢] إنها دعوة من رب غفور رحيم فتح لهم باب التوبة على مصراعيه فلم يؤاخذهم على ما أسلفوا من قبل، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وبعد هذه الدعوات للدخول في طاعة الله تعالى والبعد عن الكفر والجحود والفسق، تُفيض صفحات القرآن الكريم بذكر الجنات ترغيباً

وتحبيباً وحثاً على الفوز بها، فمِن ذكرٍ موجز لها بأنها جنات تجري من تحتها الأنهار إلى الكشف رويداً رويداً عما بداخلها من خيرات وكنوز إغراء للعاملين المجدين للتسابق إليها، وترغيباً بالعمل الذي يقرّبهم منها ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢] وأي فوز بعد هذا الفوز خلود في النعيم، لذلك رغب الله في التنافس والسباق لنيله، وليس هذا التنافس على المركز الأول كما هو في الدنيا، فالأماكن في الدنيا محدودة للأوائل فقط ثم يرجع الباقون بلا جائزة؛ لكن خير الله وافر وعطاؤه كثير يسع خلقه كلهم، فالمنافسة في الخير بين المؤمنين يحبها الله بل ويباهي بها ملائكته ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] ثم تفصح الآيات أكثر فأكثر عن كنوز الجنة وما أعده الله فيها من النعيم ليسعد به المؤمنون فيكون سروراً على سرور

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحج: ٢٣] وصف زائد صور حال المؤمنين في الجنة بلباسهم وحليهم، فما كان ممنوع عليهم في الدنيا أحله الله لهم في الجنة، فهناك الزينة والذهب والفضة واللؤلؤ والحرير والألوان الزاهية، فالدنيا دار كدح وعمل ومثل هذه الزينة فيها لا تصلح لأداء الأعمال كما أنها لا تتوفر لكل إنسان فتدخل الحسد والبغضاء بين الناس، وفي الآخرة كل شيء متوفر، اَطلبْ تُعطَ، كما أن الحسد من شأن الدنيا

وليس له مكان في نفوس المؤمنين في الآخرة

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨] ويستمر الوصف للجنات وما فيها زيادةً في الترغيب والإغراء وفي كل آية يكشف عن جديد، وما خبأه الله لعباده أكثر من هذا بكثير لتكون المفاجأة أوقع أثراً وليعلم المؤمنون أنهم في رحاب رب كريم عطاياه تفوق الوصف والخيال ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ❁ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٤٩ - ٥٤] ثم يزداد الوصف

أكثر بأن هذا الشراب لذيذ وغير مسكر، وأن القاصرات الأتراب لهن صفات محببة أخرى تزيد من جمالهن ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٠ - ٤٩] فقد تعدى الوصف إلى الجلسات العامة لأهل الجنة على سرر وأية سرر؟! إنها من الذهب، وإلى الشراب الطيب الذي ينعش ولا يسكر وإلى الحور الحسان، حياة يتمناها كل إنسان، وقد يفتش عنها بعض الأثرياء في الدنيا ولكن أنى لهم مثلها؟ ففيها الطهر والنظافة والنساء اللاتي لم يطمثهن أحد، فقد شبهن بالبيض المكنون الذي يحافظ عليه صاحبه من أن يمسه

أذى فيحفظه بأحسن الأماكن سلامة وبُعداً عن العبث، وتأتي في سورة **الطور** زيادات مبهجة؛ حيث الذرية الصالحة تكون مجتمعة فيفرح الأب بأبنائه والجد بأحفاده لأنهم كانوا بعده على طريق الإيمان والعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا

مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿الطور: ١٧ – ٢٦﴾ أرأيت مستوى الخدمة؟ ولدان مخلدون يضاهون اللؤلؤ جمالاً وصفاء وقد تدلت أقراط الزينة من الجوهر من آذانهم أعدهم الله على هذه الصفة من الحسن لخدمة نزلاء الجنة، وهناك مجالس عائلية يتبادل فيها الأهلون والأصدقاء أحاديث الود والصفاء والذكريات عما سلف في الدنيا؛ مع خدمة مميزة وتنازع للشراب، والتنازع هنا ليس بمعنى الخلاف، وإنما من باب: انزع لي دلواً من البئر أي اغرف لي منه.

وبعد هذه الشواهد القرآنية عن الجنة وما كشف لنا فيها من النعيم نستعرض الأحاديث الشريفة في هذا الشأن، فالقرآن عُرف عنه الإيجاز، وإشاراته تكفي الحصيف النبيه.

في الحديث

أخرج الترمذي عن أبي هريرة أن نفراً من الصحابة سألوا النبي ﷺ عن الجنة **﴿قلنا الجنة ما بناؤها قال:**

لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الإذفر، وحصباؤها الياقوت وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد فلا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة؛ فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً !فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً﴾ وهكذا فإن الأزواج كلٌّ يرى قرينه أجمل مما كان إذا غاب عنه قليلاً ثم عاد، وهذا خلاف الدنيا حيث ينقص فيها إعجاب القرين بقرينه مع مر الأيام فيفتر الهيام ومعسول الكلام، وأخرج الترمذي أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿إن في الجنة لخيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن﴾ فأهل هذا المؤمن مجتمعون تحت هذه الخيمة

ولكن في بيوت بعيدة بعضها عن بعض، وفي قطعة من حديث المعراج فيما أخرجه الشيخان وأحمد، أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ – تلال – اللؤلؤ وإذا ترابها المسك﴾ كما ورد أن الكوثر من أنهار الجنة، فعن عبد الله بن عمر أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت؛ تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح، وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة؛ قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض؛ لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يمرضون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم من الذهب، ووقود مجامرهم من الألوّة – العود –

ورشحهم المسك﴾ وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر – الطالع – من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين﴾.

هذه اختيارات من الأحاديث التي تصف الجنة وقد اخترتها من الصحاح وأضربت عما ورد في غير الصحاح لما فيها من المبالغات التي قد تضعف ما نحن بصدده من الترغيب، وإن أولئك الذين ينتحلون الأحاديث وحجتهم الترغيب لمؤاخذون أمام الله أشد المؤاخذة للكذب على رسول الله ﴿ﷺ﴾، وقد وصف النبي ﴿ﷺ﴾ الجنة بما لا مزيد عليه ثم ختم ذلك بقوله كما هو عند البخاري عن أبي هريرة ﴿قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] فلا يصح أن يأتي بعد هذا منتحل للأحاديث فيروي من مخيلته ما شاء،ويعطي من أطوالها ومنازلها ما شاء من الأرقام، وينسب ذلك إلى النبي ﴿ﷺ﴾ بحجة أنه يرغب في الجنة فهذا افتئات على الله وتزوير للحقيقة ولكلام النبي المعصوم.

أحوال أهل الجنة

حياة طويلة أبدية لا يمكن أن تنقل في صحائف أو تحتويها الأسفار، ولكن ذكر الله لنا ما سيكون من حال أهل الجنة على وجه العموم؛ من التنعم لتقريب الصورة إلينا وترغيب العباد إلى تحقيق شروط دخولها وبذل الجهد في ذلك، وعدم التواني في السعي إليها والمداومة على الطاعات في الدنيا والصبر على مجاهدة النفس والعمل لأجلها، طالما أن

للإنسان قلب ينبض وروحاً تغذي الجسم، فمُكْث الإنسان في الدنيا مهما طال عمره قليل فهو عابر وليس بمقيم، وهي ليست بدار مقام، وزوالها سريع،فالدنيا كما شبهها النبي ﴿ﷺ﴾ براكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله ﴿ﷺ﴾ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذت لك وطاء، فقال: ﴿**ما لي وما للدنيا ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**﴾ فهذه الحياة السريعة الزائلة على الأرض لا تحتاج إلى التعلق بها وإعطائها أكثر مما ينبغي من الاهتمام، لا أقول بمذهب الانعزال والانطواء، وإنما قصدي العمل والدأب للتمكين بها، واستغلال ما أودع الله فيها من خيرات لنا ضمن الضوابط الإسلامية التي تدعو للعمل الصالح الذي يصرف ثوابه إلى الآخرة.

مشاهد بديعة

وفي عدد من سور القرآن الكريم مشاهد بديعة جميلة تصور لنا جنات الخلود أجمل تصوير.

وليكن المشهد الأول من عروس القرآن **سورة الرحمن** تأخذ بتاليها إلى الملكوت الأعلى تخرجه من نطاق الجاذبية لينقّل فكره مع آياتها التي تأخذ بمجامع القلوب وهو ينتقل معها من مشهد جميل إلى آخر أجمل وكلما هم بالعودة إلى الأرض تجذبه قوى أكبر وأقوى ليبقى في رحاب الكلمات الندية إلى آخر المشهد القرآني الذي صور الحياة في جنان الله، فبعد التمهيد بما أودع الله تعالى في الكون من جمال؛ وبما خلق من شمس وقمر ونجوم وشجر ونخيل وزهر ومياه عذبة ومالحة وحلي جميلة لم يكن للإنسان يد في صنعها وإنما هي من إنعام

المنعم جلت قدرته، ثم بيان محدودية قدرة الإنسان والجان وأنهما مهما بلغا من القوة والخبرة فإنهما ضعيفان مسيطر عليهما وأن مصير المجرمين والمكذبين في النار، ثم يأتي الترغيب لعباد الله الطائعين ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ – ٤٧] قيل في هاتين الجنتين أنهما للمؤمن؛ واحدة له لأن الله تعالى قد خلق الإنسان وخلق له جنته، فالذي يكفر يحرم من جنته فيرثه المؤمن، وورد عن أبي موسى الأشعري فيما أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**جنتان من فضة آنيتها وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبْر على وجهه في جنة عدن**﴾ وفي سورة الرحمن أتبع الله كل آية (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والآلاء هي النعم وقيل القدرة، فَذِكْرُها هكذا ليستشعر الثقلان من

الإنس والجن نِعَم الله عليهم، فلا يُنسي كثرة ذكر النعم بعضها بعضاً، فكانت هذه الفواصل العذبة الندية، وقد أورد الترمذي " أن النبي (ﷺ) قرأها على أصحابه وهم يستمعون صامتين - كأنما أخذوا ببلاغتها وروعة ما فيها من بيان وجمال - فقال لهم: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم؛ كنت كلما أتيت على قوله (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد" ثم تمضي سورة الرحمن بذكر ما في الجنة من إنعام ونعم (ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ) والأفنان هي الأغصان المورقة (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) في كل جنة منهما عينان تجريان بماء عذب نمير (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ) فهذا إجمال لكل الفواكه فما من فاكهة خلقها الله إلا وموجودة فيهما، وكلمة زوجان كما هو معروف في عالم النبات زهور مذكرة وزهور

مؤنثة لكي يتم التلقيح وتخرج الثمار في أجود ما تكون كما هو الحال في النخيل، وقد تحمل الزهرة غبار الطلع المذكرة وفيها المدقة المؤنثة فتتلقى هذا الغبار ويتم التلقيح بإذن الله، وقيل عن الفاكهة: منها الرطب الندي ومنها المجفف، والأول يبدو لي أظهر فما الحاجة في الجنة للمجفف والطازج موجود لا ينقطع،كما أن الآية أُتبعت بالزوجين من الإنسان وذلك للمقابلة، فكما أن في الفاكهة زوجين في الجنة؛ فالمؤمن فيها مقترن أيضاً بزوجة، فهما زوجان، فلا عَزَبَ في الجنة كما ورد في الحديث الذي أخرجه الدارمي عن أبي هريرة، أن النبي (ﷺ) قال: «ما في الجنة أحد إلا له زوجان إنه ليرى مخ ساقهما من وراء سبعين حلة ما فيها من عزَب» وكما بينته الآية في سورة يس ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٦﴾ ﴿ليس: ٣٦﴾ ثم انتقل النص القرآني إلى الأزواج وبيان حالهم الفارهة، فيا لَلجنة ونعيمها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿الرحمن: ٥٤﴾ جلسة محببة إلى النفس تبعث على الراحة والطمأنينة والاسترخاء في هدوء، وهي عادةُ أهل مجالس السمر؛ حيث ترفع الكلفة بين المتحدثين، كما هي أيضاً جلسة الزوج المتأمل لجمال زوجته وهي غادية رائحة أمامه تحضر له من الطعام ما لذ وطاب فيكون في هذه الحالة في قمة السعادة وانشراح النفس، والاتكاء على فرش مريحة غطيت بأجمل الحلل، فإذا كانت بطائنها من الإستبرق الجميل الجذاب فماذا ستكون أوجهها الظاهرة؟، وقد يكون الاتكاء على هذه الفرش لكلا الزوجين كل على طريقته، وتكتمل السعادة في أن جنى الجنتين دان قريب يستطيع أن يجني المؤمن منه

ما شاء دون تكلف أو تعب، والثمار أطيب ما تكون وهي طازجة قد جُنيت لحظة تناولها؛ كما وأن اشتهاء الإنسان الأشد لها عندما يراها متدلية من شجرها في منظر أخاذ تغري الناظرين، فقد جل مبدعها سبحانه، وبعد حاجة الإنسان للطعام والشراب تأتي حاجته للمتعة الجنسية التي غرسها الله في كلا الزوجين؛ لأنها متعة من نوع آخر، وإرواء لحاجة في الجسم غير حاجة الطعام والشراب ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن: ٥٦] أحسن ما تكون المرأة إمتاعاً للزوج وهي بكر، وأحسن ما تكون انقياداً لزوجها وطاعة له ومحبة تعطيه المتعة عن حب مفرط عندما تكون قاصرة الطرف لا ترى غيره رجلاً، ولا تريد سواه بعلاً، كل مفتون بجمال الآخر ومغرم به- وما كثرة الطلاق في هذا العصر إلا من تطلع الرجال

والنساء إلى الممثلين والممثلات وما يعرض في التلفاز من مظاهر خادعة جملتها الأصباغ وحسنتها آلة التصوير فلم يقصر كلا الزوجين نظره على الآخر بل تعداه إلى هذا وذاك وهذه وتلك فوقعت الفتنة ووقع التنافر – ففي الجنة تحقيق منتهى الألفة بين الزوجين، ثم تأتي زيادة في وصف حور الجنة ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨] سحراً ونقاء ونضرة ونعومة وجاذبية فوجهها يشع كالمرآة ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] فأنت أيها العبد المؤمن الذي عبد الله ووحّده وكدح في الدنيا عاملاً ملتزماً بأداء حق الله وحقوق العباد، فما جزاء هذا العبد الذي أحسن في عبادته إلا أن يلقى من الله جزاء هذا الإحسان بإحسان يفوق ما قدم، وقيل: وهذا قانون الله في الدنيا وفي الآخرة مع المسلم، ومع غير المسلم في الدنيا، وإذا كان يظن

من لم يبلغ مرتبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ أنه لن ينال شيئاً، فقد طمأنه الله تعالى بأن له نصيبه المكتوب وفق ما قدم من عمل، وهو أيضاً وافر كبير وإن كان أقل من درجة أولئك؛ لكن في عالم الآخرة هو عطاء كبير ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ فهاتان الجنتان الأقل درجة انظر أيها المؤمن ما فيهما ﴿مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ فمن كثرة ما فيهما من الخضرة والشجر المورق ضَرَبتا إلى السواد ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ تفوران بالماء العذب السلسبيل ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ من كل أصناف الفاكهة ومن الرطب والرمان وهما من الفواكه اللذيذة المحببة إلى النفس، فلا تظن أيها المؤمن أن هاتين الجنتين خلوٌّ من الجنس اللطيف ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ فالخيرات هنا ليست طعاماً أو شراباً وقد عبر

عنهن بنون النسوة أي هن من الحور وأنهن حسان (حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾) وأنهن في منازلهن، والمنزل عبارة عن درة مجوفة، تنتظر فيه كل واحدة منهن زوجها وهي بكر عَروب، ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن معاذ بن جبل أن النبي (ﷺ) قال: «لا تؤذي امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل أوشك أن يفارقك إلينا» وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أدنى أهل الجنة منزلة «أنه يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك» فعلى هذا هناك حوريتان مخصصتان لكل مؤمن وقد يزيد العدد وفق درجة التقى؛ فقد أخرج الترمذي عن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسول الله (ﷺ): «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه

تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» حسن صحيح. هذا إضافة إلى – زوجاته- زوجته التي كانت معه في الدنيا إن كانت من الصالحات فالله تعالى يعطيها جمالاً محبباً إلى زوجها تنافس فيه الحور من دون غَيرة ولا شعور بأنهن ضرائر فكلهن راضيات مُحِبّات لهذا الزوج ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ يالزوجات من الحور العين لقد أعطين ما يناسبهن من الجلوس والانتظار، جلسة أنثوية تتمدد فيها هذه الحورية على مرتفع أخضر متحرك يرف كأجنحة الطائر ذهاباً وإياباً وأقرب تشبيه لهذا أنها الأرجوحة وهي كالسرير المعلق الذي يتأرجح بمن جلس عليه زيادة في السعادة والمتعة وهي تلبس الثياب العبقرية الجميلة الخلابة تنتظر بعلها لتجلسه معها في هذا السرير المتحرك، لذا نالت هذا الوصف الذي يختلف

بالطبع عن جلسة الرجل التي ذكرت سابقاً (مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ ...﴿٥٤﴾) أما هذه فإنها جلسة حور الجنة بما يناسبهن من المساند التي لا تخطر على البال من جمالها،وأن العبقري وإن فسرها بعضهم بالزرابي والطنافس وتركها بعضهم الآخر دون تفسير معتمداً على أن هذه اللفظة خاصة بكل شيء خيالي خارق لا تأتي به إلا الجن من وادي عبقر، إلا أني أقول: إن هذه اللفظة تناسب ملابس الحور العين فهن متكئات على رفرف خضر بملابس غاية في الجمال، قال ابن سِيدة: عبقر قرية في اليمن أو في الجزيرة يوشّى فيها الثياب والبسط "ثيابها في غاية الحسن" والجودة فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع- تاج العروس - وإن قيل: ما الذي جعلك تقول: إن هذه الجلسة خاصة بالحور لا بالرجال وقد ذكرت كلمة " مُتَّكِـِٔينَ" وهي للرجال

ولو عنى النساء لقال "متكئات" أقول لقد قدم في السورة وصف جلسة الرجال (مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ) وأخر وصفاً لجلسة النساء للمقابلة بين الجلستين لاختلاف المساند المناسبة لكل منهما وأن الرفرف أي الأرجوحة عادة ما تكون عليها جلسة النساء كما هو في عصرنا الحاضر في بيوت المترفين حيث تجلس المرأة في حديقة منزلها على هذه الأرجوحة مصطبحة متعرضة للهواء الطلق وهذه الأرجوحة معروفة أيضاً عند الأمم السابقة، كما أن سياق الآيات ابتداء من (فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ) إلى آخر السورة هي ذِكْرٌ متتابع للمؤنث، فدل على أن المقصود بالجلسة هنّ الحوريات، وأما كلمة "مُتَّكِـِٔينَ" فقد ذكّرَت لتناسب كلمة حور فهي تقبل التأنيث والتذكير، فتقول نساء حور ورجال حور، كما وأن هناك سور ذكّرَت ملابس الرجال في الجنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

[الكهف: ٣٠ – ٣١] ولم تُذكر ملابس النساء من الحور فجاء ذكرها الآن بما يناسب،ولقد قرأت لأبي البقاء العكبري في كتابه **إعراب الحديث النبوي** تخريجة لطيفة لحديث نبوي فيه إشكالية مشابهة أفادت مسألتي هذه، قال: ورد حديث "**إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يُرى مخ ساقها من وراء لحومهم أو دمائهم أو حللهم**" قال: فجعل ضمير الجمع للمذكر وهو يعني المؤنث، والوجه فيه أنه نزّل المؤنث منزلة المذكر على ما

جرت به العادة من صيانة المؤنث، ثم قال: وأما الجمع في الضميرين الأخيرين وتذكيرهما فلأن الحور وإن كن إناثاً فحكمهن حكم الإنسان أو المخلوق وقد جاء في الشعر:

قامت تبكيه على قبره من لي بها بعدك يا عامر

تركتني في الحي **ذا غربة** قد كلَّ من ليس له ناصر

أي: ذات غربة، وقد يذكر مثل ذلك في المؤنث لستر الحال – إعراب الحديث النبوي ص(٢٠٤).

وقد تصرف هذه الجلسة على رأي المفسرين للرجال لبيان حال جلستهم في الجنة الأدنى- حيث لم أجد أحداً من المفسرين انتبه إلى هذا الاستنتاج - والله أعلم .

وأما المشهد الرائع الثاني في الجنة فقد ورد في سورة الواقعة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ١٠ – ١٢]

مدح الله السابقين إلى الإيمان وهم السابقون إلى الجنة، وتكرارها مرتين دليل المدح والإشادة، فهم المقربون من الله تعالى في جنات النعيم، وبعد هذه المقدمة الموصلة بهذه الفئة إلى الجنة؛ لم يقتصر الكلام على العموميات، فطالما أن هذه الزمرة من المؤمنين قد سبقت إلى الإيمان؛ فلا بد من أن يريهم ربهم مكانتهم في الجنة وما سيتنعمون به، وهم عمومُ مَن سبق إلى الاستجابة لدعوة الأنبياء ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ والثلة الجماعة وليست بالكثيرة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ عنى بهؤلاء أمة محمد ﷺ، حيث كان السابقون قلة تعد على أصابع اليد؛ منهم أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد، والسابقون من الغلمان علي وزيد بن حارثة ومن النساء خديجة وبناتها ﷺ جميعاً، ولما دخل المسلمون دار الأرقم بن أبي الأرقم وبدأ العدد يتزايد فكان أن أسلم

حمزة ثم عمر بن الخطاب فبلغوا نحواً من أربعين رجلاً، وبعد ثلاث عشرة - مدة دعوة النبي (ﷺ) في مكة - بلغ العدد نحواً من ثمانين رجلاً سوى الذين هاجروا إلى الحبشة ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ أي منسوجة من خيوط الذهب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ وتُذكر دائماً جلسة الارتخاء وتمدد الجسم بما يريحه وهي جلسة الاتكاء، فجلسات العمل والانهماك به لا تكون بوضعية الاتكاء، وعلى هذا فجلسات الجنة الخاصة والعامة جلسات راحة واسترخاء على سرر مصفوفة يقابل بعضهم بعضاً ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ وبالرغم من يُسْر الأمر في تناول ما يحتاجه المسلم في الجنة إلا أن من تمام الراحة والسعادة أن يباشر الخدمة على أهل الجنة آخرون، وقد هيأ الله لهذه الخدمة غلمان مقيمون معهم في الجنة مخلدون؛ يباشرون تقديم

الطلبات بثيابهم البهية وطلعتهم المقمرة كأحسن ما يكونون خدمة، وإتقان عمل، ودُرْبَةً مميزة على أداء هذا العمل (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾) يحملون معهم لوازم الشراب من الأكواب، وهي التي ليس فيها شراب فإذا ما ملئت أصبحت كأساً، والمعين هي أنهار الخمر الجارية التي يُغرف منها بالأبارق لتقدم إلى أهل الجنة، وقد سبق أن هذه الخمر لذيذة منعشة غير مسكرة (لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾) فدل على أن خمر الدنيا تصدع الرأس وتحيل العقل إلى خبال، فتتفلت منه القدرة على التحكم والتصرف فلا يدري على أية حال هو؛ أما خمر الجنة فقد سُلب ما فيها من الغول الذي يؤدي إلى الإسكار وذهاب العقل، فلا تتصدع منه الرؤوس ولا تنزف من شربه العقول قليلاً كان أو كثيراً (وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾) أصناف لا تحصى من

الفواكه الناضجة الشهية في كل الأوقات وللمؤمن الخيار فيما يشتهي منها فلا يحده - كما في الدنيا - فصل لينتظر وهو في الشتاء فاكهة الصيف ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ فإذا ما أرم المسلم إلى اللحم فالطيور المشوية جاهزة، فلم ذكر لحم الطير دون سواه؟ ربما للأفضلية علماً بأن كل ما في الجنة طيب لذيذ، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ **«إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً»** وقد ورد عن أنس أن طير الجنة كأمثال البخت – الجمال – ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه الطير لناعمة، قال: **«آكلها أنعم منها وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»** وبعد تناول أطايب الطعام والشراب واللحم وإشباع لذة البطن؛ تأتي لذة الفرج ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ فَلِمَ

كل هذا النعيم؟ (جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾) أفبعد هذا يحجم إنسان عن طاعة الله وعبادته ؟ أو يتهاون في الطاعة ابتغاء أمر دنيوي، فلو كرّس الإنسان حياته كلها للعبادة لما كان ذلك كثيراً لقاء ما سينال في الآخرة من التكريم، وتعود الآيات القرآنية لتكشف عن مزيد صفات للجنة التي تخدم أهلها (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾) ليس فيها من الكلام الباطل شيء ولا من الكلام الذي فيه إثم وقطيعة وتنابذ، فهي للمؤمنين خالية من سفه السفهاء وأخلاق البغاث المسفين في القول الباطل،وقد ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ **﴿يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقَصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي**

نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» ففي هذا الحديث ما يدل على وجود عتاب وتصفيات للنفوس بين المؤمنين خارج الجنة وقبل دخولها فإذا انتهوا من ذلك دخلوا الجنة ولا شيء في قلوبهم يحمله أحدهم على الآخر، فما الذي يسمعونه فيها إذاً؟ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ الكلام الطيب والسلام وهو تحية أهل الجنة، وعودة إلى أهل اليمين بعد السابقين ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ فهؤلاء أيضاً لهم أجرهم الجزيل ولهم إكرامهم الوافي والاحتفاء بهم، فهم أتباع الرسل الذين آمنوا بالغيب واستمروا على النهج بعد الرسل فلم يروا معجزة وما التقوا بنبي، ففي الحديث الذي يرويه أحمد عن أنس أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «وددت أني لقيت إخواني، قال: فقال أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾: أو ليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا

بي ولم يروني» ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ شجر السدر له رائحة طيبة والمخضود الذي نزع شوكه ففيه فائدة الطيب دون التعرض لأذى الشوك ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ أفرد الموز بالذكر هنا لمزيد علم أن الموز من فاكهة الجنة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ جلسة ناعمة تحت الظلال الممتدة ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ لمن يحب الشراب والاغتسال وسماع خريره ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ ليست بالمقطوعة التي ذهب نضارها بل هي على شجرها وليست بالممتنعة عن الجنى فجناها سهل ميسر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣] وبعد التأكيد على ملاذ الجسم أكد لأصحاب اليمين جلوسهم على الفراش اللين المرتفع عن الأرض لكي تحلو الجلسة، وبعد هذا سيجد هؤلاء المتعة في الزوجات والحور العين وقد أنشأهن الله تعالى

خصيصاً لهؤلاء الأزواج ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ صفات في الأنثى محببة إلى الرجل؛البكَارة والسن المتقارب مع الرجل، والعَرُوبة: المرأة العاشقة التي تزيد في جذب الرجل إليها فيما تقوم به من إغراء فاتن وأنس ولطف يحدث جواً من الألفة والمتعة،ثم ذكر هذه المرة أن أصحاب اليمين هم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وعليه فالعدد من أمة محمد (ﷺ) قد ازداد وتساوى مع بقية الأمم كافة، وقد ورد في الحديث النبوي الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي (ﷺ) في قبة فقال: **(أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس**

مسلمة، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر﴾

وأما المشهد الثالث ففي سورة الغاشية، حيث النظم القرآني بالآيات ذات الفواصل القصيرة المقطعة المتتالية كدفقات القطر التي ينتظرها الظمآن بفارغ الصبر ليروي عطشه، فهي في تناغم بديع له فعله وعمله في النفوس، وتبدأ البشرى للمؤمنين بآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية: ٨] منعمة من خير الجنة ونضرتها فأصبحت في حالة من التنعم والإشراقة بما لا مزيد عليه من النضرة والجمال الأخاذ، وقد نجد في الدنيا مثلاً لذلك فما بين وجه كالح علاه التعب والشقاء ولفح الشمس وحر الهجير ووجه إنسان منعّم نَضِر يعيش في ظل ظليل وفي بحبوحة من العيش فلا يأتيه وهج الشمس إلا لمحاً فشتان بين نضرة الوجهين، وهكذا فإن نعيم

الجنة يحل على سمات المؤمن بالنعومة والجمال، كما في سورة المطففين ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٤] وعن علي (ﷺ) أن نضرة النعيم عين يتوضأ منها أهل الجنة ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم، وهذه الوجوه ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية: ٩] فقد نالت جزاء سعيها في العمل الصالح في الدنيا بما يسعدها ويرضيها في الآخرة، وأية منحة خير من هذه المنحة، ومأوى أفضل من هذا المأوى؟! يكفي المؤمن أنه فاز برضا الله ولا تسأل بعد ذلك عن النعيم الذي يأتيه والخيرات التي يتقلب فيها (فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾) عالية المنزلة رفيعة الدرجة وهي تتراءى كالنجوم لكل مؤمن جنته التي يأوي إليها – نحن نتخيل وفق هذا الوصف ما عليه حال الجنان ولكن بطبيعة الحال لن نصل إلى حقيقتها المبهرة إلا

بالمشاهدة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية: ١١] وقد مر هذا الوصف من تناول طيب الثمار المتدلية من الشجر ، مع هدوء بال وراحة نفس، وامتناع اللغو وباطل الكلام ، ففيها المحبة والتسليم وعذب الكلام وندي الألفاظ ، وفي سورة عم ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ: ٣٥] ونتابع الوصف ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الغاشية: ١٢] فيها الأنهار والعيون وقد ورد أسماء بعضها في سور أخرى كما في سورة المطففين ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٥ - ٢٨] فالمسك يخلط مع شراب التسنيم الذي يصب فوقه من عَلٍ،وهذا أنفس شراب أهل الجنة، فهو شراب المقربين وكلهم سيكون مقرباً

إذا كتبت لهم الجنة، وهذه العين تجري من تحت العرش (ويشرب بها) أي منها وقيل الباء زائدة أي يشربها ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية: ١٢ - ١٤] ثم تذكر هنا جلسات أهل الجنة على السرر المرفوعة وهي من فضة وذهب مع وثير الفراش، أما الأكواب فهي كعدد النجوم على أطراف الأنهار يغرف منها أهل الجنة ويشربون ألذ شراب (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾) وهي الوسائد الطرية المريحة الموشاة بخيوط الفضة والذهب والحرير (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾) هي البسط والسجاد كأروع ما تكون جمالاً وزركشة ونعومة.

المشهد الرابع في سورة الإنسان: صور رائعة لأهل الجنة، وكل سورة من سور القرآن عندما تذكر وصفاً للجنة تأتي بوصف زائد عما ذُكِرَ في السورة الأخرى، ففي مجموع آيات هذه السور تتجمع

الأوصاف وتكتمل الحلقات وإن كانت كلها إشارات موجزة تعد المؤمن وتهيئه للمشاهدة الحقيقية الرائعة، كما أن كثرة ذكر الجنة للفت النظر إليها والتحبيب بها من أجل بذل الطاعة لدخولها، والتوجيه إلى إبداع خالقها الذي أبدعها وصورها ليُري عبيده قدرته الفائقة في الخلق والتصوير والإبداع والجمال فهو المستحق للعبادة ؛ وأن كل هذا الإبداع والجمال هو لأجل عبيده الذين أحبوه وأحبهم، لذلك كان من الأوفق أن نفرد لبعضها مشهداً خاصاً، لأن ذكر الجنة فيها لم يكن إشارة أو لمحاً وإنما فيه إسهاب شائق تتوق له النفس حباً وفأل نوال، ورجاء من قلوب خاشعة تتمنى الإنعام عليها من ربها الكريم غافر الذنب وقابل التوب الرحمن الرحيم ، وهل يرجى لهذا إلا هو سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: ٥] لقد تعددت العيون والأمزجة والأشربة وكلها طيبة المذاق بهية الألوان وهذا لكيلا يبقى أهل الجنة على شراب واحد ،وقد يكون ذكر هذه الأشربة في القرآن الكريم للمثال لا للحصر وإنما هناك ما لا يحصى من الأشربة والعيون ، فهذه العين بيضاء كبياض الكافور (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦) وهنا أعطي أهل الجنة قدرة على سوق الماء كما يريدون فهذه العين مطواعة لهم يجرونها إلى أي مكان يريدون فتتشعب لهم وتجري في جنانهم ، فلماذا نالوا هذا التكريم؟ والجواب (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧) يوفون نذورهم إذا نذروا لذلك كان النبي (ﷺ) إذا أتاه صحابي وقال له: نذرت في الجاهلية كذا ،أوعلي نذر كذا فإذا كان نذر خير وطاعة قال أوف بنذرك – حتى ولو كان نذراً في الجاهلية التي

طمست وذهب ما فيها بنور الإسلام - وقيل النذر هنا العهد أي يوفون بالعهد إذا عاهدوا ، وكلا التفسيرين حسن، أما اليوم فهو يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد فقد خافوا ذلك اليوم وأعدوا له ما استطاعوا من العمل الصالح ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ فهم لا يعطون المحتاج فضلتهم ولا ما زاد عن حاجتهم بل هم أيضاً بحاجة إلى الطعام ولكن شاطروا فيه الفقير واليتيم والأسير، وفسر الأسير بالسجين والمملوك ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ...﴾ وإطعام هؤلاء ليس من أجل منفعة دنيوية ولكن لأن هذا الإطعام يرضي الله تعالى وقد أمرنا به ﴿...لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ لا نطلب مقابل هذا الإطعام مدحاً ولا شيئاً مقابلاً له،وإن كان على الآخذ الردُّ على المطعم بالشكر والدعاء له بالأجر والثواب؛ لأن هذا يزيد في التعاون والألفة

وآصرة الأخوة في الله،ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ صُنِع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء» لقد خافوا وعيد الله فأحسنوا العمل، كما رجوا ثوابه فكان الإخلاص،ولا يجمع الله للمؤمن خوفين فمن خافه في الدنيا وعمل لهذا الخوف أمّنه الله في الآخرة ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ فاليوم ليس هو العابس المقْمَطِرّ ولكن لهوله يظهر هذا العبوس والتقطيب على وجوه الناس المذنبين، فهذه استعارة مكنية ﴿فَوَقَىٰهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ بالإنعام عليهم حتى اطمأنوا في ذلك اليوم فكانت علامات الوقاية من هذا اليوم المخيف باديةً على الوجوه بالنضرة والسرور، ثم كان التكريم ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ وكان يكفي ذكر الجنة لأن فيها كل شيء من

النعيم، فذِكْر الحرير هنا بهذا الخصوص لابد من أنه يرمي إلى شيء أرادنا الله أن ننتبه إلى دلالاته، وهو الإعلام بأن لباس أهل الجنة من الحرير هو تعويض لهم عن منعهم من لبسه في الدنيا، ولكي لا يظن ظان أن الأمر في الدنيا " **باخشوشنوا** " ينسحب على الآخرة أبداً ففي الجنة الرفاهية المطلقة والترف الزائد، وتستمر الآيات في وصف أهل الجنة (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾) والأرائك مثل السرر مع وجود مساند للاتكاء وقد تكررت في آيات عدة كلمة "مُّتَّكِـِٔينَ" زيادة في تأكيد الدعة والراحة في جو جميل وطقس لطيف ليس فيه حر ولا برد فكلا الحالين من حر وبرد غير محبب للنفس، وأما ذكر الشمس هنا فهو كناية عن الحر وفي الجنة لا توجد شمس فهي من أمور الدنيا التي أزالها الله، وقد ورد أن كل معبود في الدنيا من دون الله

كالشمس والقمر والنجوم والكواكب تلقى في النار مع عابديها ليكونوا سواء ،واستثني من ذلك مريم وابنها عيسى عليه السلام لأنهما عُبدا على غير رضاً منهما ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ ودنو الأغصان من أهل الجنة ليس للتظليل من الشمس وهي غير موجودة، وإنما للمنظر الحسن وإضفاء مزيد من الجمال على جلسات أهل الجنة ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾ والقوارير تعني الزجاج وقد جمع الله لهذه الأكواب صفة الشفافية، فهي من فضة خالصة نقية كأنها الزجاج صفاء ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ يا لحسن هؤلاء الولدان وشدة ذكائهم إنهم يقدمون الشراب في هذه الكؤوس وفق حاجة الشارب مقدراً بلا زيادة أو نقصان ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ وهذا نوع آخر من الشراب محبب إلى النفوس علماً بأن

كل مسمى في الجنة من الأشربة أو الأطعمة مشابهاً لما في الدنيا بالاسم لا في المذاق وجعل التشابه للتقريب لا للمطابقة، ففي الدنيا يختلف الطعم حتى في المسمى الواحد، فشرب الزنجبيل في بلد لا يحسن الساقي تحضيره يختلف عن آخر قد تخصص في هذا الفن (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾) وهذا الشراب يؤخذ من عين السلسبيل، فكل عين في الجنة لها مذاقها الخاص بها، وكلها لذيذة طيبة تروق للشاربين، فلا يمكنك تفضيل شراب على آخر، وإنما يتنقل الشارب من شراب لآخر لتنويع اللذة ومتعة التذوق (۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾) ولذة الشرب تزداد أنساً بما يحيط بها من جمال؛ ولكي تسعد النفوس جعل الله السقاة من أجمل الغلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور أي المتناثر هنا وهناك فلا يخلو المكان منهم، وهذا يضفي

جمالاً أكثر من تجمعهم في مكان واحد كاللؤلؤ المنظوم، كما أن قبح الساقي ينعكس أثره غماً وكدرة في النفس عند الشاربين، لذلك خلق الله السقاة لهذه الخدمة من الغلمان وميزهم بالجمال شكلاً ولباساً، وهم مخلوقون في الجنة خصيصاً للخدمة المتميزة والشكل الجذاب المريح؛ تماماً مثلما خلق الله الحور العين في الجنة خصيصاً للمتعة الجنسية، ولقد قلت شعراً في ظرف الساقي ورشاقته قبل أن أكتب في هذا المجال بأكثر ثلاثين سنة حيث كنت في معهد جيزان العلمي مدرساً، وكان يقدم لنا الشاي والقهوة شاب ظريف، فقلت فيه:

جذب الكؤوس وصفها أدوارا متنحنحاً حتى نراه جهاراً
فإذا نظرنا صادفتنا بسمة تبدي نواجذ سطرت أسطاراً

إلى آخر القصيدة، انظر ديواني أزاهير، ثم بُدّل الساقي بآخر اسمه يحيى، فكان كئيب المنظر عبوساً مقطباً، فقلت له:

لا بسمة تبدي إذا أسقيتنا لكنك المعطي علا بالسؤدد
خذ هذه الأوراق يا يحيى ورح نحو البريد فلا نراك وأبعد

(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾) وبعد ذكر ما يمكن أن يقرب لعقولنا شيئاً من نعيم الجنة؛أنهارها وعيونها وحورها وولدانها وشرابها ولذاتها،أمرنا ربنا أن ننظر نظرة متفحص في الجنة لكي نستجلي الحقيقة فيها ونقف على الجمال الأخاذ، فكان الإجمال في الوصف لأن الرؤية أبلغ وأبهج وأجلى للأشياء، فإنك أيها المؤمن سترى النعيم والملك الكبير الممتد الواسع فتدهش وتعجب في كل ما سوف تراه إلى حد الإبهار، وتعلم علم اليقين أنك عبدت إلهاً قادراً حُقّ له أن يعبد، خلق جنته فوق تصور الخيال مع إتقان وعلو فن وترف وجمال.

فأين أولئك الجاهلون الذين عبدوا الحجارة والأصنام والكواكب وغيرها مما لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن تخلق مثل هذه الجنات وتجعل فيها هذا الترف والرخاء وإضفاء اللذات على النزلاء المتقين؟! ويتوالى بقية الوصف لبيان السعادة التي تحل على أهل الجنة ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ وجاء وصف اللباس فكان الإجمال أنه من حرير، ثم كشف عن لونه ونوعه، إنه من الحرير السندس الرهيف الذي يتقبله الجسم ويسعد بملمسه اللين فيألفه فلا تنافر بين الجلد واللباس وقد صبغ باللون الأخضر وهو من أكثر الألوان المريحة للنظر فتسرح فيه العين بهجة وسروراً ولا تود عنه انتقالاً، وفوق السندس يُلبس الإستبرق وهو أكثر كثافة من السندس مع حلي الفضة الصافية

في المعاصم، وقد يتنوع لباس أهل الجنة من الحلي بين الذهب والفضة كما في آيات سبقت ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٠ – ٧١] وفي سورة فاطر ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣٣] إنما هذه الجلسة ناسبها حلي الفضة، وفي هذا البهاء يطيب الشراب وأي شراب إنه الشراب الطهور الذي يرشح من الجسم بعد تناوله طيباً فواحاً تسعد له النفوس، فإذا كان رشحه بعد الشرب كذلك، فما طعمه يا ترى؟ ولماذا هذا التنعيم من رب العالمين لعباده ؟ (إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾) كان هذا التكريم والاحتفاء بالمؤمنين لأجل عملهم

المرضي في الدنيا فقد سعوا إلى رضاء الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فأطاعوا الرحمن وعصوا الشيطان وتعرضوا من قبل الضالين المضلين المترفين للإهانة والاحتقار والحرمان مما في الدنيا من متاع خلقه الله وسخره للإنسان، فاستأثر هؤلاء بالدنيا وزخرفها ودرهمها ودينارها وقصورها وجناتها، وحدائقها وبساتينها، فصبر المؤمنون على الأذى واللأواء فما ذاقوا من الطعام إلا أقله وما غرفوا من النعيم إلا ما أحله الله ولا أخذوا من المال إلا ما كان كسباً حلالاً وكفوا عن الحرام واحتقروه وأهله فلم تغرهم الدنيا بما فيها بل صغرت في أعينهم وترفعوا فوق الشهوات وفوق الشبهات وسعوا إلى الله راغبين راهبين يطلبون رحمته ويخشون نقمته، فكان هذا السعي مشكوراً من الله وله هذا الجزاء.

لمن الجنة؟

وردت آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة فيها البشارة بالجنة لأشخاص حددت أسماؤهم أمثال العشرة المبشرين بالجنة وبشارات وفق العمل لأشخاص لم تحدد أسماؤهم وإنما ذكرت صفاتهم، وباب العمل الصالح المؤدي إلى دخول الجنة مفتوح وما على الإنسان إلا السعي لبلوغ المراد ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩] وفي هذه الآية نجد أن السعي مشروط بالإيمان (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فعلى هذا فإن الإيمان هو الأساس في نيل الجنة، ولنستعرض عدداً من ٱلْآيَٰتِ التي تؤكد على الإيمان، قال الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ...﴿٥﴾﴾ [الفتح: ٥]

﴿... وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١]

وفي الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري عن أنس قال: ذُكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا، إني أخاف أن يتكلوا»

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال:

﴿تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاةالمكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا﴾

وأخرج مسلم أن عثمان بن عفان قال: قال لي رسول الله ﷺ: ﴿من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة﴾

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم﴾

وأخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: ﴿أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: بشرني أنه من

مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلتُ: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق» فلما كررها أبو ذر ثلاثاً وكأنه أراد التأكد، قال له النبي (ﷺ) في الرابعة: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»

أعمالٌ وعَدَ رسول الله (ﷺ) المؤمنين إذا فعلوها دخلوا الجنة:

- أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله (ﷺ) قال: «من صلى البردين دخل الجنة» والبردان: العصر والعشاء.
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «من غدا إلى المسجد وراح أعدّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح»
- وأخرج البخاري عن عثمان قال: إني سمعت النبي (ﷺ) يقول: «من بنى مسجداً، قال بكير: حسبت قال يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله يوم القيامة»

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر اللهُ له فأدخله الجنة» كما ورد في البخاري أيضاً عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «غُفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي – بئر- يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له الماء فغفر لها بذلك»
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهادُ في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»

- وأخرج البخاري عن أنس أن أم حارثة بن سراقة أتت النبي (ﷺ) فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – لا يُدرى راميه – فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه البكاء، قال: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن الرسول (ﷺ) قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)
- وأخرج ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت:قال رسول الله (ﷺ): (من ثابر على ثنتي عشرة

ركعة من السُّنَّة بُني له بيت في الجنة أربع قبل الظهر وركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»

- وأخرج البخاري عن عمر «رضي الله عنه» أن رسول الله «ﷺ» قال: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة، قال: وثلاثة، فقلنا واثنان، قال: واثنان، ثم لم نسأل عن الواحد»
- وعن أبي كبشة السلولي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله «ﷺ»: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة» قال:فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة – ومنيحة العنز أن يُطعِم من لبنها.

- وأخرج ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال: أول شيء سمعته تكلم به رسول الله (ﷺ) أن قال: **(أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)**
- وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: **(رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف)**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **(من أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو كليهما فلم يدخل الجنة)**
- وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: **(كان على الطريق غصن شجرة يؤذي الناس فأماطها رجل فأُدخل الجنة)** وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء من الإيمان)**
- وأخرج ابن ماجه عن صعصعة قال:" دخلتُ على عائشة رضي الله عنها امرأةٌ معها بنتان لها،

فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت - الأم - كل واحدة تمرة ثم صدعت الباقية بينهما - أي جادت الأم بتمرتها لبنتيها فلم تذق شيئاً - قالت: فأتى النبي (ﷺ) فحدثته،فقال: **(ما عجبك لقد دخلت به الجنة)**.

- **ففي** حب الأولاد وتربيتهم، أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) **(ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة)**
- **أخرج** البخاري عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله (ﷺ): **(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى)** أشار بهما.
- **وأخرج** البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله (ﷺ) قال: **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)** أي لسانه وفرجه.

جوائز ترضية للمحتسبين الصابرين

- أخرج البخاري عن أنس أن النبي (ﷺ) قال: **(ما من الناس من مسلم يُتَوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث – البلوغ– إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم)**
- **وأخرج** الترمذي عن أبي هريرة رفعه إلى النبي (ﷺ) قال: يقول الله عز وجل **(من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً إلا الجنة)** حبيبتيه : عينيه – الحديث حسن صحيح.
- **وأخرج** البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي (ﷺ) قال: **(اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت على أهل النار فرأيت أكثر أهلها النساء)** وهذا تعويض للفقير الصابر عن فقره في الدنيا.
- **وفي الابتلاء العام**، أخرج أحمد في مسنده عن أبي الأشعث الصنعاني قال: **(سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن الله عز وجل يقول: إني إذا ابتليت**

عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب عز وجل: أنا قيدت عبدي وابتليته، وأجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح»

- وعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي (ﷺ) فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها»

موانع دخول الجنة:

- أخرج ابن ماجة عن أبي الدرداء عن النبي (ﷺ) قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»

- وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿من قتل معاهَدَاً لم يُرَح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً﴾
- وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿ألا من قتل معاهَداً له ذمة الله وذمة رسول الله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً﴾ والحديث حسن صحيح.
- وأخرج مسلم عن حذيفة أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال:" ﴿لا يدخل الجنة نمام﴾ وفي رواية أبي داود ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ " وهو النمام.
- وعند أحمد وأبي داود عن عقبة بن عامر أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿لا يدخل الجنة صاحب مكس﴾ وهو الذي يأخذ الضرائب على الأرزاق.

- وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ حبة من كبر﴾.
- وأخرج الترمذي عن أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل﴾ والخب: المخادع المحتال.
- وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه النسائي عن عبد الله بن عمر عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة؛ العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه والمدمن على الخمر والمنان بما أعطى﴾ والديوث: الذي لا يغار على أهله كالخنزير.
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها

أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ﴾

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾، قال: ﴿لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقَه﴾ والبوائق: الشرور والمصائب والظلم، وأخرج أيضاً عن أبي شريح أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه﴾.

الاستقبال الكبير:

لأهل الجنة استقبال حافل من الملائكة خزنة الجنة الموكلون بها؛ وعلى رأسهم **رضوان خازن الجنان**، ودخول المؤمنين إلى الجنة ليس صمتاً، ولكن الملائكة تصف عند أبوابها الثمانية لاستقبالهم كما يفعل في الدنيا بكبار ضيوف الدولة، إنه لأمر له أهميته في نفوس المؤمنين حيث الشعور بالفوز ورضا الله عنهم، وأنهم معززون مكرمون ، فهؤلاء

الملائكة الذين سجدوا من قبل لأبيهم آدم إنهم اليوم يقفون صفاً لاستقبالهم بأطيب عبارة وأجمل بشارة وأحلى ابتسامة ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣]

وقال المفسرون في واو (وَفُتِحَتْ) أنها للتمهل استعداداً للاستقبال الكبير الذي سيقام لورّادها، وقد بينت آيات أخر شيئاً من هذا الاستقبال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣] فهم مبعدون عن النار وعن

سماع صوتها المخيف، كما أن الله تعالى وقاهم من الخوف ومن طول المقام يوم الفزع الأكبر وأهواله، وهو يوم القيامة، إضافة إلى هذا الإنعام فإن الملائكة تتلقاهم بالسلام والترحاب هاشة باشة لهم، وفي سورة الرعد يفوز المؤمنون بالجنة جزاء ما قدموا من العمل الصالح في الدنيا وقد أنس بعضهم إلى بعض بالأهل والذرية الصالحة مع ترحيب الملائكة بهم والمباركة لهم بالفوز بالجنة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤]